٢٢

التوجيه النحوي للقراءات القرآنية عند النحاس (ت ٣٣٨ هـ)

في كتابه إعراب القرآن دراسة تحليلية

أ.م.د. ميساء طه خماس

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

Assistant Professor Dr. Maysa Taha khammas

Mustansiriyah University / College of Arts /

Department of Arabic Language

. ملخص باللغة العربية :

القرآن الكريم هو من خلّص اللغة العربية من شتات اللهجات الكثيرة، وهو إضافة لذلك جعل من اللّغة العربية لغة عالميّة تنطق بها الأمم، إذ تغلغلت في كل بقاع العالم لما كان للإسلام ، ولغة القرآن من أثر كبير على المسلمين وغير المسلمين من غير العرب ، أمّا القراءات القرآنية التي تعاورها النّحاة ، فكانت مادة من مواد الدّرس النّحوي ؛ لأنّها وإن تفاوتت النّظرة إليها ، واختلفت الآراء في رفضها وقبولها . أحدثت نوعاً من التفاعل البنّاء بين النحاة، وما الاختلاف فيها إلاّ السبيل ، والمنطلق إلى لغة قرآنية سليمةٍ من كلّ زللٍ أو لحن ، قد يقع فيه من يجهل القراءات القرآنية ، وما هي عليه من سلامةٍ في اللغة، فالقرآن الكريم الذي جاء على سبعة أحرف كلٌّ منها شافٍ وافٍ ، لا سبيل لتخطئة قراءاته إذا ما توافرت لها شروط القراءة الصحيحة ، ولم تخرج عن مقاييس اللغة نثرها وشعرها؛ لذا ظهرت التوجهات النحوية عند العلماء ، ومن بينهم العالم اللغوي ، والنحوي النحاس في كتابه (إعراب القرآن) .

. الكلمات المفتاحية : توجيه نحوي ، قراءات قرآنية ، إعراب القرآن للنحاس

Grammatical guidance of the Quranic readings according to Al-Nahhas (d. 338 AH) in his book I'rab Al-Quran An analytical study

. ملخص باللغة الإنكليزية :

The Holy Quran is what saved the Arabic language from the dispersion of many dialects, and in addition to that, it made the Arabic language a global language spoken by nations, as it penetrated all parts of the world because Islam and the language of the Quran had a great impact on Muslims and non-Muslims who are not Arabs. As for the Quranic readings that grammarians discussed, they were a material for grammatical

study; because even if the view of them varied, and opinions differed in rejecting and accepting them – they created a kind of constructive interaction between grammarians, and the difference in them is nothing but the path and starting point to a Quranic language that is free from any error or mistake that may be made by someone who is ignorant of the Quranic readings and what they are in terms of soundness in the language. The Holy Quran, which came in seven letters, each of which is comprehensive and complete, there is no way to make mistakes in its readings if the conditions of correct reading are met, and it does not deviate from the standards of the language, its prose and poetry. Therefore, grammatical trends appeared among scholars, including the linguist and grammarian Al-Nahhas in his book (I'rab Al-Quran).

. المقدمة :

فالقرآن الكريم اعجاز لغة العرب نزل على صدر سيدنا محمد **(صلى الله عليه وآله وسلم)** ، فكان اعجازا لهم من كل المقاييس سواء كانت المقاييس اللغوية أو البلاغية ، فاخذ علماؤنا بما اعطائهم الله تعالى من فهم ، وذخيرة معرفة لتأويل ، وشرح معاني القرآن العظيم مع فهم معاني الكلمات داخل النص القرآني من خلال معرفة سبب رفع الكلمة أو نصبها أو جرها أو جزمها ، فكان لهم بحر واسع من التوجيهات والتأويلات التي تلاءم فهم النص القرآني من ناحية إعطائه المعنى من خلال اعرابه ، فخضعت الكلمة في القرآن الكريم الى توجيهات كثيرة في توجيهها قرآنيا لإظهار المعنى الذي يلاءم وجوده في النص القرآني ، فالقرآن الكريم هو من خلّص اللغة العربية من شتات اللهجات الكثيرة ؛ وهو إضافة لذلك جعل من اللّغة العربية لغة عالميّة تنطق بها الأمم

، إذ تغلغلت في كل بقاع العالم لما كان للإسلام ، ولغة القرآن من أثر كبير على المسلمين ، وغير المسلمين من غير العرب .

يضاف إلى ذلك أنَّ القرآن الكريم كان له الفضل الكبير في تقعيد اللغة وضبطها، وهكذا، وبكل اطمئنان يمكن أنْ نعدَ القرآن الكريم بمنزلة الروح من الجسد بالنّسبة للغة العربية ، بل قل بفضله سادت اللّغة العربيّة وتهذّبت، وضُبطت قواعدها، واتّصلت حلقات عصورها، وانفتحت للعلوم ، والمعارف، وحفظت وحدتها .

أمّا القراءات القرآنية التي تعاورها النّحاة ، فكانت مادة من مواد الدّرس النّحوي ؛ لأنّها وإن تفاوتت النّظرة إليها ، واختلفت الآراء في رفضها وقبولها ، إذ أحدثت نوعاً من التفاعل البنّاء بين النحاة ، وما الاختلاف فيها إلاّ السبيل ، والمنطلق إلى لغة قرآنية سليمةٍ من كلّ زللٍ أو لحن قد يقع فيه من يجهل القراءات القرآنية ، وما هي عليه من سلامةٍ في اللغة ، فالقرآن الكريم الذي جاء على سبعة أحرف كلٌّ منها شافٍ وافٍ ، لا سبيل لتخطئة قراءاته إذا ما توافرت لها شروط القراءة الصحيحة ، ولم تخرج عن مقاييس اللغة نثرها وشعرها؛ لذا ظهرت التوجهات النحوية عند العلماء ، ومن بينهم العالم اللغوي والنحوي النحاس في كتابه (إعراب القرآن) الذي سأتناوله في بحثي هذا من التوجيهات النحوية للقراءات القرآنية مع ذكر آراء العلماء في التوجيه النحوي للقراءة القرآنية الذين يوافقونه في الرأي أو يخالفونه .

. القراءات القرآنية :

القراءات القرآنية هي " الوجوه المحتملة التي سمح النبي (**صلى الله عليه واله وسلم**) بقراءة نصّ المصحف بها قصدا للتيسير ، والتي جاءت وفقا للهجة من اللهجات العربية "[١]، وذكر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) الفرق بين القرآن والقراءات ، فالقرآن " هو الوحي المنزل على محمد (صلى الله عليه واله وسلم) للبيان والإعجاز ، والقراءات اختلاف الفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف ، وتثقيل وغيرهما " [2] ، ومنهج القرّاء ثابت ، فقد نقل ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) عن أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) قوله : " وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف

القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل ، والرّواية إذا ثبتت عنهم لم يردّها قياس العربية ، ولا فشو لغة ؛ لأنّ القراءة سنّة متبعة يلزم قبولها ، والمصير إليها " (٣)

ولقد أهتم العلماء بالقراءات القرآنية، إذ تُعدّ أصلا من الأصول التي اعتمدوا عليها في التّمثيل، والاستشهاد فقد استشهدوا بها ، واستعانوا بها لإثبات الأحكام ، وتقوية الآراء ، فقد صرح النحويون القدماء بأن القراءة سنّة يجب أنْ تتّبع ذكر سيبويه (ت ١٨٠ هـ) قوله : " إنّ القراءة لا تُخالف ؛ لأن القراءة سنّة " (٤) .

ولكن منهج النّحويين مع القراءات لم يكن ثابتا ، ففي حين كان سيبويه يتحرج من إنكار بعض القراءات وردّها صراحة بل ينكر اللغات التي جاءت عليها (٥) ، وكانت طائفة من النحويين ممن جاءوا بعد سيبويه لا يتورعون عن ردّها صراحة ، وذكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) الطائفة مـن النحويين ، ونقـد مـذهبهم

قائلا " كان قوم من النّحاة المتقدمين يعيبون على عاصم ، وحمزة ، وابن عامر قراءات بعيدة في العربية ، وينسبونهم الى اللحن ، وهم مخطئون في ذلك ، فإن قراءتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة " (٦) .

. **التوجيه النحوي** : هو " بيان أن رواية البيت أو القراءة القرآنية لها وجه في العربية وموافقة لضوابط النحو، فيقولون– مثلاً: وتوجيه الرواية أو البيت أ و القراءة كذا وكذا " (٧) ؛ لأنه كثير ما يلجأ إليه علماء اللغة والبلاغة لتوثيق القاعدة النحوية أو البلاغية في النص القرآني لإثبات ما جاؤوا به أنه مع المذاهب النحوية ، والنزعة العقلية ، وحذاقة العلماء في تحليل النص القرآني من وجوه متعددة لقراءة النص القرآني ، ومن هذا ما جاء في لفظة (حمالة) قوله تعالى : ((**وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**)) (٨) ، وردت في اعراب اللفظة توجيهات نحوية كثيرة ، ولكل توجيه نحوي هناك تحليل من وجهة نظر العالم النحوي لإعراب اللفظة ، إذ وردت لفظة (حمالة) بالرفع ثلاثة توجيهات نحوية الأولى أنها خبر للمبتدأ (امرأته) ، أما التوجيه النحوي الثاني خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي) يعود على (امرأته) ، أما التوجيه النحوي الثالث فتعرب (حمالة

) بالرفع على أنها صفة لـ (امرأته) ، وعند تحليل النص في التوجيهات النحوية ، فالرفع ثلاث ؛ فيَحتمل أنها صفتها في جهنم ، ويحتمل أنها صفتها التي كانت تعمل في الدّنيا بجلب حطب لتضعه في طريق النبي **(صلى الله عليه وآله وسلم)** عن طريق الصورة التي ذكرت فيها في القرآن [٩] .

أما في النصب فلفظة (حمالة) وردت في توجيهين نحويين ، فالتوجيه النحوي الأول وردت منصوبة ؛ لأنها مفعول به لفعل محذوف تقديره (أعني حمالة الحطب) تصغيرا لشأنها ، فهو ذم لها أو شتم ، وفي التوجيه النحوي الثاني إذ وردت منصوبة على أنها حال ، فهي اسم نكرة بعد معرفة ، وهي لفظة (امرأته) بتقدير سؤال كيف امرأته ؟ ، والجواب كانت تمشي في الطريق ، وهي حاملة الحطب الذي فيه شوك ترميه أمام الرسول **(صلى الله عليه وآله وسلم)** عند مشيه في الطريق [١٠]، فالتوجيه النحوي بدأ عند النحاة إظهار مقدرته على تحليل النص القرآني بالتوجيهات النحوية تدل على النزعة العقلية التي وصل لها العالم ، ومدى احقيتها بالتصديق والاتباع ، وشيوع رأيه بين العلماء ؛ بأنه عالم يؤخذ بآرائه.

. أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) :

يتبوأ أبو جعفر النحاس منزلة رفيعة بين علماء عصره في مؤلفاته التي وصلت إلينا ، إذ كانت خير شاهد على علمه وإحاطته بالدراسات النحوية واللغوية والقرآنية الجامعة , ويأتي في مقدمة تلك المؤلفات كتاب (إعراب القرآن) الذي يكتسب أهمية كبيرة من خلال معرفة القراءات ولغاتها ، فلقد أورد فيه النحاس عددا ضخما من القراءات القرآنية جعلته من أهم مراجع كتب القراءات القرآنية المتقدمة ، والمتأخرة ، والنحاس شأنه شأن أغلب النحاة في القراءات الذي يكون بين الاستشهاد بالقراءات القرآنية أو توجيهها ، وقد يتجاوز التوجيه الى الحكم بعدم الجواز أو الشذوذ [١١] ، والنحاس قد أنكر بعض القراءات القرآنية التي يراها لا تصح في المعنى او التي يعدّها لحنا ، فلا يعني ذلك أنه منكر لها دائما ، ولا يجوز أن يقرن بغيره من منكري القراءات ، فميله نحو تحكيم القياس النحوي غالبا ما يكون في غير ميدان القراءات ، وقلما يأتي في ميدانها بل على العكس ، فإن النحاس يميل الى تحكيم منهج القراء على

السماع والرواية ؛ لأنه قارئ يُؤمن بأن القراءة سنة متبعة قائمة على الرواية الثابتة ، والسماع الصحيح ؛ ولأنه يُؤمن بأن القراءة القرآنية تمثل كتاب الله عزّ وجلّ فلا يجيز أن تحمل على مذاهب نحوية ضعيفة متكلفة غير جديرة بها ، ففي قوله تعالى : ((**فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ**)) [١٢] ، وقراءة حمزة (لا تخف دركا ولا تخشى) [١٣] ،

وأنكر النحاس على الكوفيين إجازتهم إثبات الألف في آخر الفعل المضارع المجزوم ، واستدلالهم بهذه القراءة على جواز مذهبهم النحوي , فقال : " هذا مـــن أقبح الغلط أن يحمل كتاب الله جلّ وعزّ علـــى شذوذ مـن الشعر " [١٤] ، وإثبات الألف في (تخشى) إشباعا لفتحة الشين [١٥] .

. القراءة موافقة للعربية :

هي ما وافق العربية بوجه من وجوه اللغة العربية ، سواء أكان أفصح أم فصيحا ، مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله ، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع ، وتلقاها الأئمة بالإسناد الصحيح ، وهذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية [١٦] ؛ وبهذا فان موافقة العربية يعد الضابط الاساسي الذي اشترطوه في القراءات المتواترة وهو (موافقة العربية) ، أي موافقة القراءات القرآنية للقواعد ، والآراء النحوية المستقاة من النطق العربي الفصيح ، وهذا الضابط لا يختلف عن اشتراط (مطابقة الرسم) ؛ وذلك أن علماء القراءات رأوا أن القراءات المتواترة لا تخالف العربية , فما من قراءة متواترة الا وتلتقي مع مذهب أو رأي نحوي ، بينما القراءات الشاذة جاء فيها ما يخالف القواعد النحوية (١٧) ؛ لهذا أصبحت القواعد النحوية التي وضعها أوائل النحويين باستقراء النصوص اللغوية في القرآن الكريم ، وكلام العرب معيارا للصواب والخطأ عند جميع النحويين ، " ومعنى ذلك أن الفصاحة لم تعد المعيار الوحيد للقبول في عرف النحاة مثلما كانت

قبل اكتمال النحو " [١٨] ، وفي ضوء منهج النحويين هذا القائم على اطراد القاعدة في السماع ، والقياس كانوا يحاكمون النصوص اللغوية ، ويخضعونها لأقيستهم وإجماعهم

وأصولهم المعتمدة لتكون متناسبة مع البناء النحوي ، والنحاس كغيره من النحويين في اتخاذ قواعد النحو مقياسا للحكم على صحة القراءة القرآنية ، فاختار من القراءات القرآنية ما يوافق الأغلب الأشهر في اللغة ، وعلل لكثير منها ما يتفق وضابط صحة العربية ، وردّ بعضها مما يتعارض مع القواعد التي قررها النحويون , فنراه يعرض إجماع النحويين على ردّ قراءة حمزة ، وابن عامر **((لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ))** [١٩] ، قال النحاس : " وما علمت أحدا من أهل العربية ، واللغة بصريا ولا كوفيا إلا وهو يحظر أن تقرأ هذه القراءة " [٢٠] ؛ ولذلك لأن قراءة حمزة وابن عامر (لا يحسبنّ) بالياء ، وباقي السبعة قرأه بالتاء[٢١] ، والنحاس ذكر عدة آراء من العلماء تأكيدا للرأيه بقوله : " فمنهم من يقول هي لحن ؛ لأنه لم يأت الا بمفعول واحد ليحسبن ، وممن قال هذا أبو حاتم ، وقال الفراء[٢٢] " هو ضعيف ، وأجازه على ضعفه على أنه يحذف المفعول الأول .. ورأيت أبا اسحاق (الزجاج) يذهب الى هذا القول " (٢٣) ، أي " لحن أبو حاتم السجستاني في هذه القراءة ؛ لأنه لم يأت الا بمفعول وأحد ليحسبن ، وكأن راوي القراءة هو الذي صاغ عبارتها ، وأما الفراء الذي ذهب الى قوله الزجاج فهو ، وأن ضعف قراءة حمزة وابن عامر هذه ورجح قراءة التاء ؛ لأنها أفصح في التركيب وأكثر على ما رأى ، علل القراءتين بأن فعل الظن قليل أن يعطل من الوقوع على أن أو على اثنين سوى مرفوعة ، وقد جعل (الذي) في الآية فاعلا ثم أوّل هذه القراءة قائلا : (وكأنه جعل (معجزين) اسما ، وجعل(فـــي الأرض) خبرا لهم كما تقول : لا تحسبن الذين كفروا رجالا في بيتك ، وهم يريدون أنفسهم وهو ضعيف ، والوجه ان تقرأ بالتاء " [٢٤] ، ، ومكي بن أبي طالب أول هذه القراءة تأويلا موافقا للمعنى ، والقاعدة النحوية بقوله : " من قرأه بالياء اضمر الفاعل وهو النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، و(الذين)، و(معجزين) مفعولا (حسب)، ويجوز ان يكون(الذين) هم الفاعلون ، وتضمر المفعول الأول لحسب ، و(معجزين) الثاني والتقدير : لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين " [٢٥] وعلى الرغم من تمسك النحاس بقواعد العربية وعدّها ضابطا من ضوابط صحة القراءة ، إلا أن اعتداده برسم المصحف ، والإجماع مُقدم على غيره ، فنجده يوجه هذه القراءة بصحتها بما يلاءم ذوقه النحوي ، والاجماع ؛ ولعل السبب يرجع الى تأثره بمنهج

القرّاء ، ففي قوله تعالى : ((**إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا**)) [٢٦] ، قال : " والكوفيون يقرؤونها بغير ألف [٢٧] ؛ وذلك مخالف للمصحف ، وإن كان حسنا في العربية ، وأولى الأشياء في هذا أن يُوقف عليه بالألف ، ولا يوصل ؛ لأنه إن وصل بالألف كان لاحنا ، وإن وصل بغير ألف كان مخالفا للمصحف ، وإذا وقف بالألف كان متبعا للسواد موافقا للإعراب ؛ لأن العرب تُثبت هذه الألف في القوافي ، وتُثبتها في الفواصل ليتفق الكلام " [٢٨] ، وقوله تعالى :

((**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ**)) [٢٩] ، وجه النحاس بقوله : " إن لأهل العربية فيه ثلاثة أقوال : أن يكون الجار والمجرور متعلقا بـ (صالح) , آخر محذوف ، أو يكون متعلقا بمصدر محذوف ، والقول الثالث : ألا يعد (الصالحين) بمعنى : الذين صلحوا ولكنه اسم قائم بنفسه , كما يقال : الرجل والغلام " [٣٠] ، و قوله تعالى: ((**وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا**)) [٣١] أيضا ، وقرأ الحسن (وقُولوا للنَّاس حُسْنَى) ، والاخفش (ت ٢١٥ هـ) على فعْلى ، وقال النحاس : " وهذا لا يجوز في العربية لا يقال من هذا شيء إلا بالألف واللام نحو : الفُضْلى والكُبرى والحُسنى ، وهذا قوله سيبويه [٣٢] " [٣٣] ؛ بذلك ردّ هذه القراءة , أي (فعلَى) مؤنث أفعل ، فقال بعض النحاة إنها " لا تستعمل إلا بالألف واللام أو الإضافة , تقول : هذا أصغر منك ، فإذا رددته الى المؤنث قلت : هذه الصغرى أو صغرى بناتك ، ويقبح عنده أن يقال : صغرى ، بغير إضافة ، ولا ألف ولام ، قال سحيم [٣٤]

ذهبن بمسواكي وغادرن مذهبا من الصوغ في صغري بنان شماليا

وقرأ بعض القراء (وقولوا حُسنى) على فُعلى بغير تنوين ، وكذلك قرأ في الكهف (إما أن تعذب وإما تتخذ فيهم حسنى) [٣٥] ، على فعلى بغير تنوين , فذهب سعيد بن مسعدة الى أن ذلك خطأ لا يجوز [36] ، فـأنت

تراه يخطئ القراءة ؛ لأنها خالفت قاعدة موروثة مع أن ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) في مختصر البديع نسب رواية هذه القراءة الى الأخفش عن بعضهم [٣٧] ، وكذلك فعل

الزجاج من قبله [٣٨] ، وهو يدل على أنه خطأ القراءة رغم روايته لها [٣٩] ، وقد يعزو النحاس ما خالف القواعد النحوية من القراءات الى الشذوذ , ففي قراءة من قرأ (زَيَّنَ للذين كفروا الحياة الدنيا) [٤٠]، أي ببناء (زين) للمعلوم ونصب (الحياة) قال النحاس :

" وهي قراءة شاذة ؛ لأنه لم يتقدم للفاعل ذكر " [41] .

والنحاس يوجه بأن هذه القراءة شاذة ، إذ خالفت ضابط موافقة العربية ، ومن ذلك قراءة اليزيدي والحسن : (خَافِضَةً رَّافِعَةً) [42] ، وفي القرآن الكريم ((خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ)) [43] يراها النحاس القراءة " شاذة متروكة من غير جهة أن الجماعة الذين تقوم بهم الحجة على خلافها ، ومنها أن المعنى على الرفع في قول أهل التفسير والمحققين من أهل العربية " [44] ، ، وذكر رأيهم بقوله : " أهل العربية فقد تكلم منهم جماعة في النصب ، فقال محمد بن يزيد : لا يجوز , وقال الفراء[45]: يجوز بمعنى إذا وقعت الواقعة وقعت خافضة رافعة ، فأضمر وقعت وهو عند غيره من النحويين بعيد قبيح ، ولو قلت : إذا جئتك زائرا

تريدُ إذا جئتك جئتك زائرا ، لـم يجز هذا الإضمار ؛ لأنه لا يعرف معناه ، وقد يتوهم السامع أنه قـد بقي مـــن الكلام شيء [46] .

وفي قوله تعالى : ((**وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ**)) [٤٧] ، اعتمد النحاس في توجيه اعراب لفظة (مثقال) في الآية الى الرفع بقوله : " اسم (كان) ، ولا خبر لها ؛ لأنها بمعنـى (وقع) " [٤٨] ، وذكر النويري(ت ٨٥٧ هـ) في توجيه اعراب لفظة (مثقال) بالرفع أيضا " ووجه رفع (مثقال) أن (كان) و(تكون) تامان " [٤٩] على اعتبار (كان) في الآية القرآنية تامة ، فوردت بالرفع (كان مثقالُ) ؛ لأنه جعل احتمال رفعها بالتمام ، وليست ناقصة تحتاج الى إتمام معناها ، فقد اكتفت بالفاعل ، ودل المعنى على المراد ، وهناك توجيه نحوي ثانٍ للفظة (مثقالَ) بالنصب ؛ لأنها خبر كان والتقدير(كان العملُ مثقالَ ذرةٍ) ، وذكر النحاس هذا التوجيه النحوي بقوله : " ويجوز النصب على أن تُضمر فيها اسمها " [٥٠] .

وهذا ما نجده في كتاب النحاس ، فهناك مواطن كثيرة غير تلك التي ذكرناها ، إذ استعمل القياس على القراءات القرآنية فلحن بعضا ، وخطأ بعضا ، وشذذ قسما ، ومنع جواز آخر ، وهو في كل ذلك يصدر عن عقلية قياسية مؤمنة بالقواعد النحوية التي تلقتها ، فتقبل ما وافقها من قراءات ، وتهاجم ما خالفها ، ليس يهم بعد ذلك أن تكون القراءة المخالفة سبعية أو شاذة ، والأهم من كل ذلك أنها خالفت القواعد ، ومن ثم جاز رميها بكل الطعن الممكن [٥١] ، والنحاس بهذا الضابط (موافقة توجيهاته للعربية) ، التزم به مثلما التزم به اللغويون والنحويون من قبله ، وأن هذا الشرط كان شرطا وقائيا ، لا يقصد منه نفي أن تكون القراءات مصدرا من مصادر القواعد النحوية ، ومقياسا أعلى تقاس بها صحتها[52] .

وجاء في توجيه قراءة لفظة (نفسك) بين الجر على الإضافة ، والنصب على المفعولية في قوله تعالى : ((**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**)) [٥٣] ، قرأت (نفسكِ) على أن اسم الفاعل غير عامل عمل فعليه ؛ لأنه غير دال على الحال أو الاستقبال ؛ وإنما دل على المضي ، فهو لم ينون ، فلا يجوز أن تعرب (نفسك) معمولا لاسم الفاعل (باخع) ، لا يجوز أن نقول : محمد ضاربُ زيدٍ الآن أو غداً ؛ لأن الصواب الذي ذهب إليه جمهور القراء ، إذا اضيف اسم الفاعل الى معموله يدل على الاستمرار والمضي والاستقبال كقوله تعالى: ((**إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ**)) [٥٤] ، فجاءت لفظة (فالقُ) مضمومة ؛ لأنها خبر (إن) مضافة الى كلمة (الحبِّ) ، فهي تدل على الاستمرار والاستقبال [٥٥] ، وقرأت لفظة (نفسكَ) بالنصب على أنها معمول اسم الفاعل (باخعٌ) ، فهي مفعول به له لاستفائه شروط العمل ، إذ وقع خبرا لـ (لعل) وهذا هو توجيه قراءة الجمهور بتنوين (باخعٍ) ، ونصب (نفسك) على أنه معمول (باخع) لتوافر شروط العمل ؛ ولأنها دالة على الحال والاستقبال ، أما رأي الكسائي (ت ١٨٩ هـ) عن هاتين القراءتين فقد أجاز كلاهما " العمل والاضافة سواء " [٥٦] ، وهذا ما ذهب إليه الزجاج في كتابه الجمل " فإذا كان اسم الفاعل ، وهذا ما ذهب إليه الزجاج في كتابه الجمل " فإذا كان اسم الفاعل بمعنى الحال أو الاستقبال كان لك فيه وجهان : احدهما : وهو الأجود أن تنونه ، وتنصب ما بعده ؛ لأنه ضارع فعل المستقبل ؛ وذلك قولك : (هو ضاربٌ زيداً الساعة) ، (

هذا ضاربٌ مكرمٌ عمراً غداً) ، وما أشبه ذلك " [٥٧]، والوجه الآخر الذي ذكره الزجاج بقوله : " والوجه الآخر أن تحذف التنوين ، وتخفض ، وأنت تريد الحال والاستقبال ، فتقول : هذا ضاربُ زيدٍ غداً " [٥٨] ، والنحاس سار على من قرأ بالنصب لفظة (نسفك) بقوله : " والقول في هذا ما قاله أبو إسحاق في كتابه في القرآن [٥٩] قال : (أنْ في موضع نصب مفعول له ، والمعنى : لعلكَ قاتلٌ نفسَكَ لتركهم الايمان) " [٦٠] .

توجيه لفظتي (نصفه) و(ثلثه) بين النصب و الجر عطفا على ما قبلهما في قوله تعالى : ((**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُ**)) [٦١] ، هناك من وجّه من القراء على قراءة (نصفِهِ

وثلثِهِ) بالجر عطفا على قوله تعالى (من ثلثي الليل) [٦٢] ، على قول قيام الليل أدنى من الثلثي ، وأدنى من النصف ، فالنصف أكثر من الثلث ، فكأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقوم الليل من نصفه أو من ثلثه [٦٣] ، والقراءة الثانية التي قرأت بها لفظتا(نصفَهُ وثلثَهُ) على النصب عطفا على لفظة (أدنى) التي هي منصوبة على الظرفية الزمانية ، وهنا القراءة في النصب أقوى ، وأولى ؛ لأنها تدل على ما يقوم به

الرسول (**صلى الله عليه وآله وسلم**) من عبادة فرضها الله عليه مثلما أنها مكملة لمعنى بداية السورة ((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا**)) [64] بمعنى (تقوم الليل تقوم نصف وتقوم ثلثه) [٦٥] ، والمكي (ت ٤٣٧ هـ) : " وكلا القراءتين حسن غير أن النصب أقوى " [٦٦] ، أما النحاس فقد أجاز القراءتين بقوله : القراءتان قد قرأ بهما الجماعة ، وتقدير الخفض : ويقوم أدنى من نصفه ، وأدنى من ثلثه ، وتقدير النصب : أدنى من ثلثي الليل ؛ وذلك أكثر من النصف مرة ، وتقوم نصفه مرةً وتقوم ثلثه مرةً " [٦٧] ، ومما ذكرنا لولا النحاس ، وجماعة النحاة والقراء ما وصلنا الى ما وصلنا إليه الآن من نحوٍ ، وبلاغة ، وتوجيه قراءة ، فجميع ما وصلنا هو السراج المنير الذي ينير حياة طالب

العلم بالمعرفة ، والتقرب من فهم معاني القرآن الكريم الذي نزل اعجازا يعجز العرب ببلاغتهم ، فهو كلام الله المنزل على رسوله محمد (**صلى الله عليه وآله وسلم**) .

. الخاتمة :

النحويون احتجوا بالقراءات القرآنية مثلما احتجوا بكلام العرب، فلا يوجد كتاب من كتب النحو إلا واستدل بالقراءات القرآنية لتقوية القواعد النحوية المراد اثبات صحتها ، وكان النحاس من أولئك الذين استعانوا بالقراءات القرآنية في شرح ، وتثبيت القاعدة النحوية إذا وافقت ميوله النحوية والعربية ، فكان يذكر توجيه بعض القراءات أو ردها لمخالفتها القياس بزعمه ، فهو يثبت القاعدة النحوية بما هو دون القراءة القرآنية أو في بعض الأحيان قد يطعن في كثير من القراءات لأئمة القراء الذين تواترت قراءتهم ، و رضتها الامة بالقبول، وفي بعض الأحيان يجيز القراءات المختلفة ، ويعلل سبب كل قراءة ، ففي بعض الأحيان نجده المدافع عن القراءات إذا وافقت ميوله والعربية حتى لو كانت شاذة ، فهو نحوي يأخذ القرآن الكريم مجاله الواسع ، والرحب في توجيه القراءات القرآنية آخذا بنظر الاعتبار مواقعها الإعرابية داخل النص القرآني .

المصادر والمراجع :

*القرآن الكريم.

. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي ، (احمد بن محمد بن احمد بن عبد الغني الدمياطي) ، طبعة الحلبي ، القاهرة , ١٣١٧ هـ .

. الأشباه والنظائر للسيوطي ، الطبعة الثانية ، حيدر أباد , ١٣٥٩ هـ .

. الأصول دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، الدكتور تمام حسان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – العراق ، ١٩٨٨ م .

. إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن أسماعيل النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، اعتنى به الشيخ خالد العلي ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

. الاقتراح في علم الأصول النحو ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : الدكتور أحمد محمد قاسم , الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، القاهرة , ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦م .

. البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر ، الدكتور أحمد عمر مختار عمر ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب , القاهرة – مصر , ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م .

. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية – يحيى البابي الحلبي وشركاؤه, الطبعة الاولى ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م

. التبيان في إعراب القرآن , أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ) , تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل , لبنان – بيروت , الطبعة الثانية , ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ٢٠٠١ م .

. التيسير في القراءات السبع ، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، استانبول , مطبعة الدولة ، ١٩٣٠ ، اعادت طبعه مكتبة المثنى ، بغداد .

. ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق : عبد العزيز الميمنى ، دار الكتب المصرية ، (د ، ط) ، سنة ١٩٥٠.

. السبعة في القراءات ، ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى (ت ٣٢٤ هـ) ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف , دار المعارف , القاهرة ، ١٩٧٢ م .

. شرح طيبة النشر في القراءات العشر , شهاب الدين أبي بكر أحمد ابن الجزري (ت ٨٣٥هـ) ، علق عليه الشيخ أنس مهرة ، منشورات محمد علي بيضون , دار الكتب العلمية , لبنان – بيروت , الطبعة الثانية , ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

. الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه ، محمد ابراهيم مصطفى عبادة ، أطروحة دكتوراه ، كلية دار العلوم , جامعة القاهرة , ١٩٧٧ م .

. القراءات القرآنية بين المستشرقين والنحاة , الدكتور حازم سليمان الحلي ، مطبعة القضاء ، النجف – العراق ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

. القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ، الدكتور عبد الهادي الفضلي ، الطبعة الثالثة ، دار القلم بيروت – لبنان ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

. الكتاب , أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار القلم – القاهرة ، ١٩٦٦ م .

. مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ابن خالويه ، الحسين بن احمد (ت ٣٧٠ هـ) عني بتصحيحه : برجشتراسر ، دار الهجرة .

. مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي علي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) ، تحقيق : ياسين محمد السواس ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، (د. ط) ، (د ، ت) .

. معاني الأخفش ، تحقيق ، الدكتور فائز فارس ، الطبعة الثانية ، الكويت ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

. معاني القرآن : لأبي زكريا يحيى الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي وآخرون ، طبعة دار السرور ، (د ، ت) .

. معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تحقيق : الدكتور عبد الجليل عبده شبلي ، القاهرة , ١٩٧٣ م ، ١٩٧٤ م

. معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تحقيق : الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ، الطبعة الأولى عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

. معجم القراءات القرآنية : الدكتور عبد العال سالم مكرم ، والدكتور أحمد مختار عمر ، الطبعة الأولى ، جامعة الكويت ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

. مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٨ م .

. مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، الدكتور شعبان صلاح ، دار غريب للطباعة ، والنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ٢٠٠٥ م .

. النحويون والقراءات القرآنية ، مجلة كلية آداب المستنصرية ، الدكتور زهير غازي زاهد، العدد الخامس عشر ، ١٩٨٧ .

. النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، عني بتصحيحه وطبعه : محمد أحمد دهمان ، الطبعة الأولى ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٥ هـ .

. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة – مصر ، (د. ط) , (د. ت) .

(١) البحث اللغوي عند العرب : ١٦.
(2) البرهان في علوم القرآن : ١ / ٣١٨ .
(٣) النشر في القراءات العشر : ١ / ١٠.
(٤) الكتاب : ١ / ١٤٨ .
(٥) ينظر : الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه : ٣٢٥ .

(٦) الاقتراح : ١ / ٤٩ .

(٧) معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية: ٢٥٠-٢٥١.
(٨) سورة المسد : ٤ .
(٩) ينظر : تفسير الطبري : ٢٤ / ٦٧٢ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٥ / ٣٧٦ ، إعراب القرآن للنحاس : ١٣٧٥ ، التبيان في إعراب القرآن : ٢ / ١٢٠٨ ، شرح طيبة النشر : ٢ / ٦٢٦ .
(١٠) ينظر : تفسير الطبري : ٢٤ / ٦٧٢ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٥ / ٣٧٦ ، إعراب القرآن للنحاس : ٥ / ٣٠٦ ، التبيان في إعراب القرآن : ٢ / ١٢٠٨ ، شرح طيبة النشر : ٢ / ٦٢٦ .
(١١) مواقف النحاة من القراءات القرآنية: ٢٣٣ ، وينظر : الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه : ٣٢٥ .
(١٢) سورة طه : ٧٧ .
(١٣) السبعة في القراءات : ٤٢١ .
(١٤) إعراب القرآن : ٥٩٠ .
(١٥) ينظر : شرح أبيات سيبويه للنحاس : ٣٩ ، والإتحاف : ١٨٧ ، وموقف النحاة من القراءات : ٣٠٢
(١٦) ينظر : النشر في القراءات العشر : ١ / ٩ ، ومناهل العرفان : ١ / ٤١٨ .
(١٧) ينظر : القراءات القرآنية تاريخ وتعريف : ١٢١ .

(١٨) الأصول ، تمام حسان : ١٠٢ .
(١٩) سورة النور : ٥٧ ، وينظر : معجم القراءات : ٤ / ٢٦٧ .
(٢٠) إعراب القرآن : ٦٥٧ .
(٢١) ينظر : التيسير في القراءات السبع : ١٦٣ ، والنحويون والقراءات القرآنية , مجلة كلية آداب المستنصرية , العدد الخامس عشر , ١٩٨٧ , ١٤٥ .
(٢٢) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٥٩ , النحويون والقراءات القرآنية , مجلة كلية آداب المستنصرية , العدد الخامس عشر , ١٩٨٧ , ١٤٥ .
(٢٣) إعراب القرآن : ٦٥٧ .
(٢٤) إعراب القرآن : ٦٥٧ .
(٢٥) مشكل اعراب القرآن : ٥١٣ ، وينظر : النحويون والقراءات القرآنية ، مجلة كلية آداب المستنصرية ، العدد الخامس عشر , ١٩٨٧ ، ١٤٥ .
(٢٦) سورة الأحزاب : ١٠ .
(٢٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤ / ٢١٨ .
٢٨ إعراب القرآن : ٧٦٦ .
(٢٩) سورة البقرة : ١٣٠ .
(٣٠) إعراب القرآن : ٦٥ ، وينظر : مواقف النحاة من القراءات : ٢٣٩ - ٢٤٠ .
(٣١) سورة البقرة : ٨٣ .
(٣٢) ينظر : الكتاب : ٣ / ٢٤٨ .
(٣٣) إعراب القرآن : ٥١ ، وينظر : مواقف النحاة من القراءات : ٢٤٦ .
(٣٤) سحيم عبد بني الحسحاس ، ديوانه : ٢٦ .
(٣٥) سورة الكهف : ٨٦ ، وينظر : الاتحاف : ٨٦ , والنص القرآني هو : **((إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا))** .
(36)ينظر : معاني الأخفش : ١ / ١٢٧ ، الأشباه والنظائر : ٤ / ١٥٥ ، ومواقف النحاة من القراءات : ١٩٧ .

(٣٧) ينظر : المختصر : ٧ ، ومواقف النحاة من القراءات : ١٩٨ .
(٣٨) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١ / ١٣٧ ، ومواقف النحاة من القراءات : ١٩٨ .

(٣٩) ينظر : مواقف النحاة من القراءات : ١٩٨ .
(٤٠) سورة البقرة : ٢١٢ ، ذكرت هذه القراءة في معاني القرآن للفراء : ١ / ١٣١ ، والقراءة غير منسوبة لاحد في كتابه مختصر في شواذ القرآن : ١٣ - ١٤ ، مواقف النحاة من القراءات : ٢٤٦ .
(41) إعراب القرآن : ٨٩ ، وينظر : مواقف النحاة من القراءات : ٢٤٦ .
(٤٢) سورة الواقعة : ٣ ، ينظر : مختصر في شواذ القرآن : ١٥٠ ، ومجمع البيان : ٩ / ٢١٣ ، والمحتسب : ٢ / ٣٥٨ .
(٤٣) سورة الواقعة : ٣ .
(٤٤) إعراب القرآن : ١٠٨٤ .
(٤٥) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣ / ١٢١ .
(46) إعراب القرآن : ١٠٨٥ .
(٤٧) سورة الأنبياء : ٤٧ .
(٤٨) إعراب القرآن : ٦٠٥ .
(٤٩) شرح طيبة النشر : ٢ / ٤٥٨ ، وينظر : التبيان في اعراب القرآن : ٢ / ٩١٩ ، شرح طيبة النشر : ٢ / ٤٥٨ .
(٥٠) إعراب القرآن : ٦٠٥ .
(٥١) ينظر : مواقف النحاة من القراءات القرآنية : ٢٤٨ .
(52) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف : ١٢٢ ، وينظر : القراءات القرآنية بين المستشرقين والنحاة : ٤٠ - ٤٦ .
(٥٣) سورة الشعراء : ٣ .
(٥٤) سورة الأنعام : ٩٥ .
(٥٥) ينظر : همع الهوامع : ٥ / ٨٣ .
(٥٦) همع الهوامع : ٥ / ٨٣ .
(٥٧) الجمل للزجاج : ٩٦ -
(٥٨) الجمل للزجاج : ٩٩ -
(٥٩) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٨٢ .
(٦٠) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٨٢ .
(٦١) سورة المزمل : ٢٠ .
(٦٢) ينظر : التيسير في القراءات السبع : ٢١٦ ، والسبعة في القراءات : ٦٥٨ .
(٦٣) ينظر : الكشاف : ٤ / ١٧٨ .
64 سورة المزمل : ١ – ٤ .
٦٥ ينظر : الكشاف : ٤ / ١٧٨ .
٦٦ الكشاف : ٤ / ١٧٨ .
٦٧ إعراب القرآن : ١٢١٧ .